«صيغ المبالغة في القرآن الكريم »

دراسات لغوية :

د. حازم طه مجيد
كلية الأداب — جامعة الموصل

منهجنا في هذا البحث يسير بطريقة علمية احصائية تنبني على حصر المواضع التي وردت فيها صيغ المبالغة في القرآن الكريم .

واني —قبل أن أعرض لصيغ المبالغة في القرآن— أود ان الم المامة عجلى بأمر قياسية وسماعية هذه الصيغ من أثر وجهود علماء النحو قدامى ومحدثين .

١ — صيغ المبالغة بين القياس والسماع .

١ — سيبويه :

تناول سيبويه في مؤلفه صيغ المبالغة، فقال : (وأجروا اسم الفاعل اذا ارادوا ان يبالغوا في الأمر ، مجراه اذا كان على بناء فاعل ، لأنه يريدبه ماراد بفاعل من ايقاع الفعل ، الاأنه يريد ان يحدث عن المبالغة . فما هو الأصل كرحيم .... والخ) (١) يفهم من عبارة سيبويه إجازة القياس لصيغ المبالغة وذلك في قوله (إذا ارادوا ان يبالغوا) ولوكان يرى أنها تقتصر على السماع لقال : سمع عن العرب هكذا واكتفى ، ولذا نراه يدلل على صحة هذا ويعلّلهبقوله(لأنه يريد به ماارادوا بفاعل من ايقاع الفعل الا أنه يريد ان يحدث عن المبالغة).

٢ — المبرد: —

عبارة المبرد في المقتضب تنحو بظاهرها نحوقياسية صيغ المبالغة فيقول :(فإذا اردت أن تكثر الفعل كان للتكثير أبنية .....) ثم يورد الأبنية الخمسة ، ففي كلامه « اذا اردت» اشارة واضحة كل الوضوح الى قياسية صيغ المبالغة الخمس .

---

(١) الكتاب : لسيبويه ١/١١ تحقيق عبد السلام هارون
(٢) المقتضب : للمبرد ٢/١١٣ تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة

٣ ـ الزمخشري :

نقل الزمخشري في مؤلفه عبارة سيبويه، فقال (قال سيبويه: وأجروا اسم الفاعل إذا ارادوا ان يبالغوا في الأمر مجراه اذا كان على بناء فاعل يريد نحو شرّاب وضروب ومنحار ...(١).

وقد تابعه ابن يعيش فقال ....(لأنه يريد به ماراد بفاعل من ايقاع الفعل الا ان فيه اخباراً بزيادة مبالغة وتلك الأسماء فعول وفعّال ومفعال وفعل وفعيل لجميع هذه الأسماء تعمل عمل فاعل ... هذا ضروب زيداً ، هذا ضرّاب عمراً وحَذِر عدوه ورحيم أباه) (٢) .

٤ ـ ابن مالك :

قال ابن مالك فى الألفية : (٣) .

فَعّال اومِفْعال أوفعول   ـفي كثرة ـ عن فاعل بديلُ
فيستحق مالَهُ من عمل   وفي فعيل قلّ ذا وفعل

أشار ابن مالك بهذين البيتين الى كثرة ورود الصيغ الثلاث : فعّال ومفعال وفعول ، والى قلة ورود فعيل وفَعِل .

وأشار الصبّان في حاشيته على الألفية بأن قوله (فيستحق ماله من عمل) يفيد ان جميع الأمثلة الخمسة تعمل قياسيا وهو الأصح) (٤) .

وذهب الدنوشري الى ان البصريين قد جعلوا الصيغ الخمس قياسية ، فقال : (مذهب البصريين منقاسة في كل فعل متعد ثلاث ، نحو ضرب ، تقول : ضرّاب ، ومضراب ، وضروب ، وضريب ، وضرب) (٥) .

---

(١) ابن يعيش .شرح المفصل ٧/٦

(٢) المصدر نفسه. ٧/٦

(٣) ابن عقيل ٩٠/٢٠

(٤) انظر حاشية الصبان ٢٩٦/٢

(٥) انظر شرح التصريح على التوضيح ٦٧/٢

٥ ـ السيوطي :

أشار في مؤلفه همع الهوامع ، اليها فقال : (يعمل بشرطه ماحول منه للمبالغة الى فَعّال وفعول ومفعال وفعيل وفَعل .. وبعد ان اورد الأمثلة قال : ولدلالتها على المبالغة لم تستعمل الا حيث يمكن الكثرة ، فلايقال موات ولاقتال زيد (١). فالظاهر من كلامه جواز الصياغة على هذه الأوزان مانريد من الأفعال اذا مادلت على الزيادة وكانت قابلة للتكثير .

نحويون معاصرون ؟

آ ـ عباس حسن :

يجدر بنا بعد ماأسلفناه ان نذكر آراء بعض النحويين المحدثين واول مانتجه اليه هو عباس حسن .يقول (يمكن تحويل صيغة فاعل الدالة على اسم الفاعل من الثلاثي الى صيغة«فعال» او غيرها (من الصيغ المعروفة باسم صيغ المبالغة . واشهرها خمس قياسية في : فَعّال ،ومفعال وفعول ، وفعيل ، وفعل) ثم يذكر صيغاً اخرى مقصورة على السماع ، واشهرها من الفعل الماضي الثلاثي ، « فِعّيل ، مفعل ، نحو « شريب ، مسْعر ... »

ب ـ محمد الخضر حسين :

لقد ورد فى مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة بحث قيّم لمحمد خضر حسين ، جاء فيه قوله (ثم وقفنا على عبارة لأبي اسحاق الشاطبي في شرح الخلاصة تدل على ان بناء صيغ المبالغة مقيس ، وظاهر اطلاقها أن هذه الصيغ «فَعّال ، مفعال ، فعول ، فعيل ، فعل » مقيسة فى المتعدي واللازم » (٣) .

الى هنا قد استعرضنا عدداً من الكتب النحوية لمعرفة آراء النحويين في صيغ المبالغة ولو شئنا ان نستقصي ماحظيت به كل الكتب النحوية لذهبنا الى مدى بعيد ، ولأن المقام يقتضينا الأيجاز وحسبنا بعد ماأسلفناه يمكننا ان نحكم مطمئنين بقياسة الصيغ الخمس الدالة على المبالغة وهي : فعّال ، ومفعال وفَعول وفعيل وفَعِل . وماعدا هذه الصيغ فهو مسموع عن العرب ولايقاس عليه .

---

(١) السيوطي .همع الهوامع ٩٧/٢

(٢) عباس حسن .النحو الوافي ٢٠٩/٣

(٣) انظر دراسات في اللغة لمحمد الخضر حسين ص٧٢

«صيغ المبالغة في القرآن الكريم»

بعد هذا التمهيد الذي لم يكن بدّ من تقدمته نعود الى موضوعنا ، واول مانتجه اليه في هذا الصدد هو صيغة :

١ ـ فعيل

لقد تتبعت صيغ المبالغة في القرآن فوجدت ان صيغة (فعيل) اكثر صيغ المبالغة وروداً في القرآن ، واحصيت عددها فوجدتها (مائة) لفظة على وزن (فعيل) غير مكررة وهذا العدد يشمل صفات الله عزوجل وصفات الرسل — عليهم الصلاة والسلام وصفات المؤمنين ، وعامة الخلق من حيوان وجماد ! ....

ومما يجدر بنا ان نشير اليه في هذا المقام ان صيغة (فعيل) وردت في صفات الله تبارك وتعالى مكررة (٩٢٧) مرة وكانت (٢٣) صفحة ، وهي : بديع كريم ، حفيظ ، سميع بصير رحيم حليم ، شهيد ، حسيب ، رقيب ، عليم ، قدير .... والخ

وحري بنا ان نشير اليه في ضوء دراسة هذه الشواهد أننا لم نجد ذكراً لأعمال صيغة فعيل في القرآن الكريم مطلقاً .

فالبصريون والكوفيون اتفقوا على وجود الأسم المنصوب بعد صيغ المبالغة ،ولكن اختلفوا في تعليل ذلك

قال الشاعر (١) :

فتاتان امّا منهما فشبيهة هلالا واخرى منهما تشبه البدرا :

الشاهد فيه قوله : «فشبيهة هلالاً» حيث أعمل صيغة المبالغة التي على زنة فعيل — وهي قوله «شبيهه» عمل اسم الفاعل الذي هو أصلها ، نصب بها مفعولا وهو قوله « هلالا» .

فالبصريون يجوز في مذهبهم أعمال صيغ المبالغة عمل الفعل واستدلوا له بالسماع والقياس . اما السماع فهذا الشاهد الذي أوردناه وغيره في الكتب النحوية.

---

(١) هو عبد الله بن قيس الرقيات

وأما القياس فلأنها واقعة موقع اسم الفاعل الذي فعله على مثال فعل – بتشديد العين الا ترى أن صيغة فعل – بتضعيف العين – تدل على الكثرةوالمبالغة أما الكوفيون فيمنعون ذلك ولايجوز في مذهبهم ، وعندهم أنه إذا ورد في كلام العرب ما ظاهره أعمال صيغة منها فإنه مؤول (١) ويجمل بنا أن نورد أمثلة عما ورد في القرآن الكريم لنعلم نهجه في أيراد صيغ المبالغة .

قال الله تبارك وتعالى (فإن تولّوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم ولاتضرونه شيئاً أن ربي على كل شيء حفيظ) (٢). هذه الاية ذكرها القرآن الكريم على لسان هود عليه الصلاة والسلام بعد أن كذّبه قومُه واستهزؤا به وقالوا له فيما قالوا : (أن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) (٣) فهم يعتزون بآلهتهم ، وهود عليه الصلاة والسلام يريد صرفهم عنها ولكنهم كانوا يستهزؤن به ، ويزعمون أن آلهتهم تضر وتنفع ، فأراد هود أن يحطم هذا التصور ، ويعلمهم أن الله هو الذي يحفظ كل شيىء ولايعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولافي الارض ، وكذلك يحفظ نبيه من الكيد ومن المكر .فلما أراد أن يضخم هذه الصفة العظيمة في هذا الموضع وهي «الحافظ» قال : «حفيظ» وهي على صيغة «فعيل» مبالغة «حافظ» على وزن «فاعل» وبذلك أدت صيغة المبالغة المعنى المطلوب في السياق ، فوجد هذه الصفة في الله تبارك وتعالى وهي صيغة المبالغة أغنت كثيراً من التكرار أو التوكيد . قال النسفي : (وحفيظ : رقيب عليه ومهيمن ، فما تخفى عليه اعمالكم ولايغفل عن مؤاخذتكم) (٤)

ولنأخذ آية أخرى وهي قوله تعالى (وبشرناه بغلام حليم) (٥) وهذه بشارة الله تبارك وتعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام جزاء أخلاصه لداعي السماء ، واخلاصه في توحيد الله ربه . فوهبه الله اسماعيل عليه الصلاة والسلام . ولكن البشرى لابد أن تنطوي على

---

(١) انظر شرح الأشموني على الفيه ابن مالك ٦٦/٤

(٢) سورة هود .أية ٥٧

(٣) سورة هود .أية ٥٤

(٤) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي ١٩٤/٢

(٥) سورة الصافات أية ١٠١

صفات عظيمة للمبشرّ به ليتم القصد من البشارة . ولذلك وصف الله تعالى اسماعيل بأنه كثير الحلم ، وهذه الصفة عظيمة لكبار العظماء ، إذ لايوصف بالحلم الا الوقور المهيب ، ثم لم يكتف بذلك بل بالغ في شدة حلمه فقال (حليم) وهي صفة اسبغها الله عزوجل الى نفسه ، ولكن شتان ما بين صفات الخالق والمخلوق.

ونفهم ضمناً من هذه الاية الكريمة أن البشارة تنطوي على بشارة اخرى وهو أن هذا المولود سيكبر ويصير غلاماً فرجلا،لان الله أخبره بأنه سيهبه غلاماً ولم يقل وليداً أو طفلا ثم قال «حليم» والحلم الكثير لايكون ، ولايمتدح عليه الا الكبير . فدلّ على أن «اسماعيل» سيكبر ويصير رجلاً حليماً ، وهذا في غاية الروعة والسرور بالنسبة لرجل لاينجب أولاداً وقد بلغ من الكبر عتياً وأمرأته عجوز عقيم . وكذلك قوله تعالى (أن ربّك يقضي بينهم بحُكم وهو العزيز العليم) (١) وردت كلمتا (العزيز العليم) وهما على صيغة فعيل غير أن لفظة عزيز من الفعل اللازم وهو (عزّ) ويجوز مجيء صيغ المبالغة من الفعل اللازم ويكاد يكون هذا إجماعاً ، أما المختلف فيه فهو عمل الصيغ التي ترد من الفعل اللازم وقد أجازه سيبويه.. .. أما لفظة(عليم)فجاءت متعدية لأنها مأخوذة من الفعل(علم)وهومتعدٍ.

فالعزيز العليم ، صفتان لله تبارك وتعالى — تدلان على كثرة وسمو العزة وسعة العلم الذي لايدركه مخلوق كما قال تعالى (ولايحيطون بشيء من علمه الابما شاء) (٢) فإذا كان (شيء من علمه) لايُحاط به فكيف بعلمه كله ؟ وكذا (العزة) إذا كان هذا المخلوق يدعى التجبر والعزة ويقول «لأوتينّ مالاً وولداً» (٣) ويقول (ليخرجنّ الاعزُ منها الأذلّ) (٤) يقصد بالأعز نفسه والأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم أذا كان هذا شأن مخلوق مهين في أدعاء العزة ، فمابالك بجبار السماوات والأرض .... لقد ذكرت هذه الصفات على بناء (فعيل) للدلالة على السعة والشمول والكثرة . وبهذا نعلم السرّ العظيم الذي تؤديه هذه الصيغ

---

(١) سورة النمل اية ٧٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٣) سورة مريم آية ٧٧

(٤) سورة المنافقون آية ٨

٢ ـ صيغة فعّال

ترد صيغة فعّال في المرتبة الثانية بعد صيغة (فعيل) وذلك حسب العدد الذي ورد في القرآن الكريم . فقد أحصيتها فوجدتها «٤٢» لفظة عشراً منها في صفات الله تبارك وتعالى واثنتان وثلاثون في صفات عباده من البشر، وصفات عدد من الظواهر الطبيعية وفي يوم القيامة . وهذا العدد أنما هو من دون تكرار ، اما المكررة فهو «١٢٣» مرة . وهذا الرقم لصيغة «فَعّال» الواردة في صفات الله تعالى في القرآن الكريم هي : جبّار . فعال ، علاّم، قهّار ، خلاّق ،غفّار ، فتّاح ، رزّاق ،تواب ، وهّاب . أما باقي الصفات فلاداعي لذكرها لكثرتها على نطاق هذا البحث.

وصيغة (فعال) لم تعمل عمل فعلها في القرآن الكريم قط، وإنما وردت صفات مشبهات ويجدر بنا أن نسوق عدداً من الامثلة على صيغة (فعال)حسب ورودها في القرآن الكريم.

قال الله تعالى (وماكان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدَها أياه فلما تبين له أنه عدوٌ لله تبرأ منه أن أبراهيم لأوّاه حليم) (١)فكلمة (أوّاه) على وزن (فَعّال)للمبالغة وأوّاه الرجل إذا توجع. والمصدر تأويهاً (٢). والمبالغة منه :أواه والأوّاه. الكثير التأوه أي كثير التوجع أما وصف ابراهيم عليه الصلاة والسلام بأنه(أوّاه حليم)فيقول الزمخشري «معناه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته(٣) عليه (٤).

يبدو لنا من الاية الكريمة أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان رقيقاً أشد ما تكون الرقة مع أبيه ،ورحيماً غاية الرحمة ،فعندما يراه وقومه في ذلك الضلال يعبدون «ما لايسمع ولايبصر» كان يكبر ذلك في نفسه فكان يتأوه عليهم من أعماق نفسه ، ولهذا أصر على الاستغفار لأبيه على الرغم من هجره أياه ،وتهديده له بالرجم ، بيد أن تأوه أبراهيم ورقته لم تخرجاه عن الطريق السوي فإنه حينما تراءى له أن أباه عدوٌ لله قطع

---

(١) سورة التوبة آية ١١٤

(٢) انظر مختار الصحاح للرازي ص٣٤

(٣) شكاسته : أي صعوبته

(٤) انظر حاشية الكشاف ٣١٥/٢

الاستغفار ، بل تبرأ منه ... وهنا — والله أعلم — يكمن السر في أتباع صفة «حليم» بعد «أواه» فلما وصفه بأنه «أواه» أعلمنا الله تبارك وتعالى — أن هذا التأوه من ابراهيم ليس تأوه العواطف التي تقوم على الصلات والروابط العنصرية ، وانما كان حليماً في تأوهه أذ تبرأ من أبيه لأنه قد عصى الله — تعالى — فإبراهيم هنا قد تجرد من الهوى ومن نزعات العاطفة الخاصة ، وأخلص الاخلاص كله لعقيدته — فاستحق الوصف الكامل لذلك — فوردت صيغة المبالغة لتؤدي دورها في وصف ابراهيم عليه الصلاة والسلام فجعلنا نحسُ من وراء حروف صيغة المبالغة العظمة النبوية الكريمة ، وهذا — مامن شك دور أبنية المبالغة .

ومما ورد على وزن (فعّال) قوله تعالى (ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلاّم للعبيد (١)

تبين لنا في هذه الاية الكريمة دلالات معنوية عالية ، وذلك بما تتضمنه من شرح لخوالج النفس البشرية ... من خلال كلمات معدودات .

والاية وردت في معرض الكلام عن اليهود ، بعد أن تجاوزوا حدودَ الله فقالوا :(أن الله فقير ونحن أغنياء (٢)) وقتلوا أنبياء الله وحرفوا كلامه ، وأفرطوا كل الافراط في عمل المنكرات والخبائث بعد كل ذلك جعل الله تعالى عاقبتهم كما قال :(ونقول ذوقوا عذاب الحريق) (٣) فهذا هو جزاؤكم : «ذلك بما قدمت أيديكم» .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وكأن الكافرين قد استثقلوا هذا العذاب ووجدوه زائداً عن قدر معصيتهم لشدته وهوله فأجابهم الله تبارك وتعالى بأن ذلك حق لاريب فيه فقال (أن الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤتِ من لدنْه أجراً عظيماً) (٤) فالله يحاسب على كل صغيرة

---

(١) سورة آل عمران ، أية ١٨١

(٢) سورة آل عمران أيه ١٨١

(٣) سورة آل عمران . أية ١٨١

(٤) سورة النساء .أية ٤٠

وكبيرة مهما كانت . ولذلك يعجب الكافرون من هذه الدقة المتناهية في الحساب ، ويقولون (ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة الا أحصاها) (١) .

فلما كانت محاسبة الله تبارك وتعالى — وعدله بهذه الدقة اقتضى السياق الإتيان بلفظة تجمع كل ذلك المعنى وتوحيه لنا من خلال حروفها ، وفيما وراء حروفها، وهذه اللفظة هي صيغة (فعال) فقال : (وان الله ليس بظلام للعبيد) ولم يقل — سبحانه — :وان الله ليس بظالم للعبيد ، لانه أراد بذلك وجوهاً منها :

١ — ليُعلمهم «أن ترك مِثلِهم يعد ظلماً كبيراً »

٢ — ليُفيد أن مساواتهم مع المؤمنين هو ظلم كثير ، وانما العدل أن يحاسب كلا بما عمل

٣ — قال بعض العلماء : «ان كان القليل من الظلم يعدُّ كثيراً بالنسبة إلى رحمته الواسعة ، عبر في نفيه بصيغة المبالغة الدالة على الكثرة (٢)

٤ — أن «ظلاماً» وإن كان يراد به الكثرة لكنه جاء في مقابلة العبيد ، وهو جمع كثرة ، أذا قوبل بهم الظلم كان كثيراً (٣)

٥ — قيل أنه أتى بلفظة (ظلام) التي هي للمبالغة استغناء عن ذكر القول مكرراً ؛ فكانه أراد : ليس بظالم ليس بظالم (٤) ...

ولا يخفى على القاريء دقة الاسلوب ، فقد ورد في قوله تعالى (وان الله ليس بظلام للعبيد) عدةُ مؤكدات . ف (أنَّ) تفيد التوكيد بالإضافة إلى عملها ، و(ليس) للنفي القاطع ، ثم ورد (الباء) في خبرها ليؤكد النفي ويزيده قوةً ، ثم تأتي القوة المؤكدة الكبرى وهي صيغة المبالغة (ظلاّم) فاستحكم الأمر وانتفت الشبهة بها ، فالقرآن يضع كل كلمة في موطنها الذي هو اجدر بها وهي أجدر به .

---

(١) سورة الكهف .آية ٤٩

(٢) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ٢٦٦/٤

(٣) البرهان للزركشي ٥٧/٢

(٤) المصدر نفسه ٥١٣/٢

٣ ـ صيغة فعُول

ترد صيغة «فَعُول» في المرتبة الثالثة وذلك حسب ورودها في القرآن الكريم لقد احصيتُ عددها فوجدتها «١٩» مرة من دون تكرار .

وردت في صفات الله تبارك وتعالى ، وصفات الرسل وغيرها من الصفات ، أما صفات الله تبارك وتعالى فهي خمسة (غفور ، شكور ، ودود، رؤوف ، عفو) (١)

واما باقي الصفات فقد جاء اثنتان منها للأنبياء والمؤمنين ، وهي في الوقت ذاته تُعدان من صفات الله عز وجل ، وهي : «رؤوف وشكور لقد وردت «رؤوف» صفة لله عز وجل في قوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم إنّ الله بالناس لرؤوف رحيم (٢))وكذلك وردت صفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)(٣) كما وردت صفة «شكور» لله تبارك وتعالى بقوله (ليوفّيهُم اجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) (٤)،ووردت صفة لبعض الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومنهم نوح وذلك بقوله تبارك وتعالى (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً) (٥)

ووردت صفة للمؤمنين عامة ، وذلك كقوله تعالى (إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور) (٦) .

أما باقي الصفات فهي : (فخور ، عجول ، كفور ، زهوق ، قتور ، خذول ، طهور ، غرور ، ظلوم ، جهول ، قنوط ، نصوح ، عبوس) (٧) .

---

(١) قال الرازي في مختار الصحاح : والعفو : على فعول : الكثير العفو ص٤٤٣

(٢) سورة البقرة . أية ١٤٣

(٣) سورة التوبة .أية ١٢٨

(٤) سورة فاطر .أية ٣٠

(٥) سورة الاسراء .أية ٣

(٦) سورة ابراهيم .أية ٥

(٧) هذه الصيغ يمكن الرجوع أليها في مواردها من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقي .

ومما تجدر الإشارة اليه أن صيغة (فَعول) كما هو معلوم تصاغ من اسم الفاعل لتفيد الكثرة والمبالغة في الوصف . فصفات الله تبارك وتعالى ترد تارة على (فَعول) وتارة أخرى على (فاعل) وما من ريب أن (فَعول) أبلغ من (فاعل) ولكن صفات الله عز وجل — لا تخضع لهذا المقياس لأنها دائماً وابداً لا يمكن أن يتطرق اليها النقص ولكن سياق الاسلوب القرآني يقتضي احياناً المبالغة ، فترد الصفات على هذه الأوزان وكأنها تعبّر عما تعارفنا عليه نحن البشر ، فالقرآن الكريم يخاطبنا على قدر طاقتنا . وهذا سرٌّ من أسرار الإعجاز القرآني) .

نسوق مثلاً واحداً لإيضاح ما ذكرنا ، فكل من لفظ (غفور) ولفظ (غافر) وارد في القرآن الكريم بخصوص الله — تبارك وتعالى — فقوله تعالى (ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) (١) . أتي بصيغة (فعول) في قوله (غفور) ولم يقل (غافر) . ويتراءى لنا أن الله — تبارك وتعالى — لما وصف المؤمنين بأنهم هم (الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانيةً يرجون تجارة لن تبور) (٢) أراد أن يقابل هذه الطاعات العظيمة من قبل عباده المؤمنين أن يقابلها بالغفران الواسع لأنهم أهل لذلك — وهو تبارك وتعالى — أهل للغفران فذكر أنه «يوفيهم اجورهم» وهذا من باب العدل والفضل . لأن العامل إذا حصل اجرة فقد سقط حقه ... ولكن الله — تبارك وتعالى — وهو الكريم الذي لا يحيط به وصف — امتنّ على عباده ، فذكر أنه لا يقتصر على إيفائهم اجورهم ، بل «ويزيدهم من فضله» فهذه الزيادة في عرفنا تقتضي في مقابلها صفة معبرة عن ذلك تمام التعبير فوردت «إنه غفور شكور» .

أما ان كان السياق لا يقتضي المبالغة فيأتي اسم الفاعل كما هو على صيغة «فاعل» من دون مبالغة ، وذلك كقوله (غافر الذنب وقابل التوب) (٣) .

ومما ورد على صيغة (فعول) من صفات الإنسان قوله تعالى (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمةً ثم نزعناها منه إنه ليئوسٌ كفورٌ) (٤) . فوصف الإنسان في سياق هذه الآيات بهذه الصيغ

---

(١) سورة فاطر .آية ٣٠

(٢) سورة فاطر .آية ٢٩

(٣) سورة غافر ٣.

(٤) سورة هود. ٩

البليغة المعنى إنما هو في موضعه ، وانه لتعبير صادق عن طوايا النفس الإنسانية (ومن أصدق من الله قيلا) (١) .

فصفة اليأس جاءت على (فَعُول) لماذا ؟ تبين لنا أنه ورد في عدد من الآيات أن الإنسان إذا أصابته نعمة ، ووسّع الله عليه الرزق ، نَسِي ربه ، ونسي المصدر الذي امده بهذا الرزق فكفر وتجبّر ، وادعّى انه إنما جمع المال بحوله وقوته . وهذا يصوره اروع تصوير قوله تعالى (ولئن اذقناه نعمة منا من بعد ضراء مسته ليقولَنّ هذا لي وما أظن الساعة قائمة..) (٢). أو كما قال قارون (قال إنما أوتيته على علم عندي .) (٣) ...وهذا كفر صريح غاية الصراحة بالرزاق المنعم (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (٤) . فالإنسان اذا ما أصابته مصيبة في ماله أو ولده أو شيء عزيز يعتز به الإعتزاز كله دبَّ اليأس اليه واضطرب اشد الإضطراب وظن أنه فقد كل شيء ... فكفره الصريح بالمنعم العظيم ، ويأسه من إعادة ما كان قد فقد... كل ذلك تصوره صيغتا المبالغة (يؤوس كفور فالمبالغة إذاً أفادت دوراً عظيماً في مجال التعبير ذي المدلول الواسع . فهذا ما تضمنته صيغة المبالغة في هذه الآية الكريمة من الأسرار وهي قطرة من بحر، بل بحر لاساحل له. وانما نذكر طرفاً يسيراً منه ليكون منها على ماوراءه من براهين لأن برهان القرآن الكريم بيّن كاف لايحتاج الى غيره .

٤ ــ صيغة فعل

وردت صيغة (فعل)في القرآن الكريم بيد ان ورودها قليل اذاما قارنا بينها وبين الصيغ الثلاث المتقدمة.

وعلى الرغم من ذلك . فقد وردت هذه الصيغة أكثر عدداً من صيغة (مفعال) هذا الأستعمال القرآني يزيل ماتعارف عليه علماء اللغة العربية بهذا الصدد اذا انهم جعلوا صيغة (فعَل) في المرتبة الأخيرة من صيغ المبالغة القياسية اما (مفعال) فإنها ترد في المرتبة الثانية بين الصيغ وهي (بعد فعال وقبل فعول) .

---

(١) سورة النساء ١٢٢.

(٢) سورة فصلت ٥٠.

(٣) سورة القصص ٧٨.

(٤) سورة طه. ٥٠

وفي ضوء ورودها في القرآن الكريم أحصينا ذلك فكان «٥» مرات من غير تكرار ، ووردت (١٢) مرة .

والصفات التي وردت بها(فعل) هي (كذب) (١)، وجلون، نخرة، فرح، أشر) (٢) وقد ثبت لنا من تتبع هذه الصيغة أنها لم ترد في شيء من صفات الله- تبارك وتعالى - بل ان الصفات التي جاءت على هذه الصيغة انما هي صفات سلبية اي انها صفات غير محمودة ونحن اذا انعمنا النظر وجدناها وردت متفرقة مستعملة استعمالا دقيقاً وللنظر في هذه الصيغة نظرة متزنة لندرك موقعها من العمل في القرآن الكريم .

١ - كذب

أكثر ورود كلمة (كذب) على انه مصدر. وخاصة في القرآن الكريم بيد ان الذي يلفت نظر الباحث في هذه الكلمة، انها قد وردت في بعض الايات القرآنية على صيغة (فعل) التي للمبالغة .والدليل على ذلك مايستنبط من التدقيق في معنى الاية الكريمة وترصّد المراد من هذا الأستعمال قال الله تبارك وتعالى .(وجاءوا على قميصه بدم كذب) (٣).

ذهب جمهور المفسرين الى ان (كذب) انما هي مصدر نزل منزلة الصفة في هذا الموطن ليفيد المبالغة (٤). اي انه ليس للمبالغة ولكن الأستعمال اللغوي للكلمة جعلها للمبالغة ،وبعبارة أوضح. ان كلمة «كذب» في هذه الاية بالذات فيها مبالغة في المعنى وليس في الصيغة .

ويبدو لنا انه لما اراد أخوة يوسف -عليه الصلاة والسلام- دليلا يدعمون به دعواهم وهو ان يوسف قد أكله الذئب «جاءوا على قميصه بدم كذب) .فهذا الدم هو بمنزلة الشاهد لهم في هذه الدعوى ، والشاهد تحتمل شهادته الصدق والكذب .فاراد الله -تبارك

---

(١) كلمة كذب مصدر . ولكني لاحظت أن القرآن استعملها في بعض المواضع مبالغة كما هو بين انظر معجم الفاظ القرآن الكريم.

(٢) ذهب الزركشي الى إن (حاذرون) في قوله تعالى (وانا لجميع الخاذرون) ذي على وزن (فعل) للمبالغة . فلا أرى ذلك لأنها جمع حاذر وليس جمع حذر .لان جمع حذر حذرون

(٣) سورة يوسف. أية ١٨

(٤) سورة هود. أية ١٠

وتعالى– أن ينفي صدق هذا الشاهد ،فجعله (كاذباً) بيد انه بالغ في كونه كاذباً فقال (كذب) على زنة فعل للمبالغة .ومن تدبر الاية حق التدبر وما اشتملت عليه من حكمة وعدل تبين له الوجه في هذه الاية. فالقرآن الكريم قد اجتمع فيه مالم يجتمع في غيره فإنه الدليل والمدلول عليه .

٢ – فرِح

هذه اللفظة على وزن (فعل) للمبالغة في وصف المقصود بكثرة الفرح وقد وردت في مواطن من القرآن الكريم منها قوله تعالى (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني وانه لفرح فخور) (٢) وهذه الاية من تدبرها حق التدبر اوجب له تدبره علماً ويقيناً ان الأنسان بصورة عامة حريص أشد الحرص على جمع المال. فاذا اصابته جائحة في ماله حزن اشد الحزن ،ونسي باقي النعم. فهو « كفور»واذاقه الله تبارك وتعالى رغد العيش ويسره فرح الفرح كله وهذا الوصف يوجب كلمة تجمع هذه المعاني ، فكانت لفظة «فرح» التي هي للمبالغة مصورة هذه الحالة النفسية لدى كثير من الناس .

٥ – صيغة مفعال

هي احدى صيغ المبالغة القياسية . وقد جعلناها في المرتبة الاخيرة من صيغ المبالغة ، تبعاً لورودها في القرآن الكريم .

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن علماء القرآن لم يذكروا هذه الصيغة ضمن صيغ المبالغة الواردة في القرآن الكريم . فصيغة «مفعال» من الصيغ القياسية المشهورة لدى النحويين واللغويين ، والذي اعتقده انهم اما لم يعثروا على كلمة في القرآن الكريم على وزنها ، واما انهم لم يبحثوا عنها بدقة .

غير اننا بعد التأمل في القرآن الكريم واستقراء آياته وجدنا كلمتين فيه على وزن «مفعال» هما : مرصاد ، ومدرار . وتحقيق القول في هذا يدعونا إلى ان نوضح بعض التوضيح كل كلمة منهما .

١ – مدرار

وردت كلمة مدرار ثلاث مرات في القرآن الكريم . الأولى في قوله تعالى (ألم تروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنّاهم في الأرض مالم نمكّن وأرسلنا السماء عليهم مدراراً

وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) (١) والثانية قوله تعالى — حكاية عند هود عليه الصلاة والسلام (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يُرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مُجرمين) (٢) والثالثة قوله تعالى — حكاية عن نوح — عليه الصلاة و السلام — (يرسل السماء عليكم مدراراً)(٣).

وجميع هذه الصفات «مدراراً» وردت صفات للسماء ، ولم ترد في موضع آخر فقوله تعالى «مدراراً» هي من قولهم : درت السماءُ بالمطر درّاً ودروراً : إذا كثر مطرها ، وسماء مدرار وسحابة مدرار (٤) .

ففي هذه الآيات تبيّن أنه مَنّ الله — تبارك وتعالى — على عباده بأنه يرسل عليهم غيثاً مغيثاً متتابعاً ينشيء في حياتهم الخصب والنماء ويفيض عليهم من الأرزاق . وقد جرى الرسل — صلوات الله عليهم — في تبليغهم لرسالات ربهم هذا المجرى ، فنوح وهود قد أمرا قومهما بكثرة الإستغفار والتوبة إلى الله تبارك وتعالى — لأن في ذلك صدقاً للعبودية وتمثلاً كاملاً للطاعة كما أمر الخالق جل شأنه .

٢ — مرصاد

هذه الكلمة وردت في القرآن الكريم مرتين إحداهما في قوله تعالى (إن جهنم كانت مرصاداً) (٥) . والثانية في قوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) (٦).

أما الآية الأولى فقد وردت (مرصاد) فيها على وزن (مفعال) صيغة مبالغة من رصد يرصد فهو راصد ، فإذا زاد الفعل منه نقول (مرصاد) فقد جعلت جهنم مرصاداً ترصد العصاة فلا ينجونّ منها أحد . ونسبة هذه الصفة لجهنم وإن كانت جماداً ، إنما هو لزيادة التهويل وتعظيم الموقف .

---

(١) سورة الأنعام .آية ٦

(٢) سورة هود. آية ٥٢

(٣) سورة نوح . آية ١١

(٤) ابن منظور . لسان العرب ٤/٢٨٠

(٥) سورة النبأ. آية ٢١

(٦) سورة الفجر .آية ١٤

وقد نسب القرآن لجهنم في مواضع أخرى انها تلتهم الكفار وتطلب المزيد (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) (١) أما قوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد)(٢). فالمشهور ان المرصاد هنا من اسم المكان على وزن (مفعال) يقول ابو حيان : (والمرصاد والمرصد : المكان الذي يترتب فيه الرصد «مفعال» من رصده وهذا مثل لإرصاده العصاة بالعتاب وانهم لا يفوتونه) (٣) وهذا رأي وجيه ، وذلك لدخول الباء عليها فلا يمكن حملها على الصفة ، وحملها على اسم المكان أولى وأوفق .

وقد ذكر ابو حيان عند ابن عطية قوله (ويحتمل أن يكون المرصاد في الآية اسم فاعل كأن قال : لبالمراصد فعبر ببناء المبالغة) (٤) . بيد أنه ردّ عليه بقوله (ولو كان كما زعم لم تدخل الباء لأنها ليست في مكان دخولها ؛ لا زائدة ولا غير زائدة) (٥) .

وخلاصة القول في صيغة «مفعال» من صيغ المبالغة غير انها لم ترد في القرآن الكريم كثيراً وانها ورد في «مدرار» ثلاث مرات ، وفي «مرصاد» مرة واحدة .

٦ ــ صيغة فُعلة

هذه الصيغة هي احدى الصيغ غير القياسية التي وردت في القرآن الكريم بيد أنه قد ثبت لنا من تتبع هذه الصيغة في القرآن الكريم وجدناها قد استعملها القرآن ثلاث مرات ، أي أنها اكثر وروداً من صيغة «مفعال» مكررة . ومن الجدير بالذكر أن صيغة «فُعَلَة» على ندرة ورودها في القرآن الكريم إلا أنه قد وردت الفاظها الثلاث في سورة واحدة هي سورة الهمزة وهي قوله تعالى (ويلٌ لكل هُمَزَة لُمَزَة ..(وقوله تعالى)فلا يُنبَذَنَّ في الحُطمة وما أدراك ما الحُطَمة) (٦) .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

---

(١) سورة ق .أية ٣٠

(٢) سورة الفجر. أية ١٤

(٣) ابو حيان. البحر المحيط ٤/٤٧٠

(٤) ابو حيان .البحر المحيط ٤/٤٧٠

(٥) المصدر نفسه ٤/٤٧٠

(٦) سورة الهمزة . أية ٢,٣

فالألفاظ : هُمَزَة ، لُمَزة ، الحطمة ، هي على وزن «فُعَلَة» التي للمبالغة واختلف العلماء في «الهمز واللمز» فمنهم من قال (١) : إن الهمزة هو الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل ، واللمزة : هو الذي يغتابه من خلفه إذا غاب ، ومنه قول حسان بن ثابت :

همزتُك فاحتضنت بذلُ نفسٍ بقافية تأججُ كالشُّواظ (٢)

واختار هذا القول النحاس ، قال : ومنه قوله تعالى (ومنهم من يَلْمِزُكَ في الصدقات) (٣) .

وقال مقاتل ضد هذا الكلام : إن الهُمزة : الذي يغتاب بالغيبة ، واللمزة : الذي يغتاب في الوجه (٤) .

واللفظتان صفتان ذميمتان ، قد حذر الله — تبارك وتعالى — المؤمنين منهما ، وذم غاية الذم من اتصف بهما ، ولذلك وصفه القرآن الكريم بإحدى صيغ المبالغة ، للدلالة على كثرة هذا الفعل منه ، ولولا كثرة هذا الفعل منه لما وصفه الله بأنه «همزة لمزة» .

وقد ورد في غير هذه الصورة ذكر لصاحب هذه الصفة الذميمة في سورة اخرى بصيغة المبالغة ، وذلك في قوله تعالى (همّاز مشّاءٍ بنميم) (٥) .

فوردت همّاز على صيغة «فعّال» . وهذا — ما من ريب — دلالة واضحة على عناية القرآن بتطهير المجتمع من هذه الصفة الذميمة ، فلما أراد ردع النفوس عنها ، وصرف الناس إلى ما هو أفضل وجب أن يكون اللفظ الذي يعبر عن هذا الردع قوياً جامعاً مؤثراً وهذا هو دور صيغ المبالغة ، فكأننا عندما نقرأ هذه الآية نحس بتبيح هذه الصفة ونفر من أعماق أعماقنا بخبث هذه النفوس . وهذه طريقة من طرق التعبير القرآني يستثمر برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد اكثر ما يمكن من المعاني .

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٠/١٨١ — ١٨٢

(٢) الديوان

(٣) سورة التوبة .آية ٥٨

(٤) انظر تفسير القرطبي ٢٠/١٨٢

(٥) سورة القلم .آية ١١

أما تناسب ذكر «هُمزة ولمُزة» . مع ذكر «حُطمة» فإن هذا الاسلوب القرآني يوحي الينا سرّاً من اسرار العدل الإلهي العظيم ؛ حتى في العبارات عدل .... فما دام هذا الشخص «هُمزة لمُزة» فإن جزاءه «حُطمة» فالكلمات على وزن واحد ، وصيغة واحدة ... وكأنه يقول له : (إن كنت همزة لمزة فوراءك الحطمة) (١) .

٧ ــ صيغة فُعال

وردت صيغة «فُعال» في القرآن الكريم مرتين ، إحداهما قوله تعالى (أجَعَلَ الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيء عُجاب) (٢) ، والثانية قوله تعالى (ومكروا مكراً كُبّارا) (٣) . وهنا امر لا مذهب لنا دون التنبيه اليه : هو أن صيغة «فُعَال» وردت عند العرب بتشديد العين «فُعّال» وبتخفيفه «فُعَال» وهذان الإستعمالان وردا في القرآن الكريم ، مع انهما اللفظان الوحيدان فيه . فقوله تعالى (إن هذا الشيء عُجاب) (٤) قُرئت بالتشديد «عُجّاب» وبالتخفيف «عُجاب» ولكن القراءة المشهورة بالتخفيف . ومعنى «عُجاب» الشيء الكثير العجب . قال الإمام ابو البركات : (بليغ في العجب . وقيل . العجب . ماله مثل ، والعجاب ما لا مثل له) (٥) .

فالكافرون يستبعدون كون الآلهة إلهاً واحداً ، ولذلك جاء بلفظ يُنبيء عن هذا الإستنكار الشديد والرفض القاطع ، فكان لفظ «فُعّال» المعبر عن هذا المعنى البليغ .

وكذلك قوله تعالى (ومكروا مكراً كُبّارا) (٦) يدل على عظم عنادهم وصدهم عن سبيل الله . فقد بعث نوح ــ عليه الصلاة ــ في هؤلاء القوم (الف سنة إلا خمسين عاماً) (٧) فلم يؤمن له الا قليل ، وهؤلاء الكفرة لم يكتفوا بعدم الإيمان به ولكنهم مكرو الإبطال

---

(١) الرازي . التفسير الكبير ٩٤/٣٢

(٢) سورة ص. أية ٥

(٣) سورة نوح . أية ٢٢

(٤) سورة ص. أية ٥

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل لابي البركات النسفي ٣٤/٤

(٦) سورة نوح . أية ٢٢

(٧) سورة العنكبوت . أية ١٤

الدعوة ، وإغلاق الطريق في وجهها إلى قلوب الناس ، ومكروا لتزيين الكفر والضلال ، والجاهلية التي تخبط فيها القوم وتحريضهم الناس على الإستمساك بالأصنام ، وبعد كل ما ذكرنا من الصفات وجب وصف مكرهم : بصفة تدل على المكر المتناهي الموغل في الكفر ، فوردت «كُبّار» على زنة «فُعّال» للمبالغة لتؤدي هذا المعنى ، وقد وفّت بالمراد خير توفية.

٨ — صيغة فعلان

هذه الصيغة هي إحدى صيغ المبالغة . والغريب أن علماء النحو والصرف لم يذكروها في كتبهم ، مع أنهم ذكروا في كتبهم كثيراً من صيغ المبالغة القياسية وغير القياسية . بيد أن علماء التفسير ذكروها في مؤلفاتهم وهي لفظة (الرحمن) .

ولا اعلم ما هو وجه التخصيص لهذه اللفظة دون غيرها ؛ مع انه قد ورد في القرآن الكريم غيرها .

لقد ورد في القرآن الكريم لفظان على وزن «فَعلان» غير لفظ «رحمن» وهما : قوله تعالى (قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونُردُّ على أعقابنا بعد إذ هدانا اللهُ كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قُل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لربّ العالمين) (١) .

وقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) (٢) فكلمة (حيران) في الآية الأولى صيغة مبالغة على وزن فَعْلان ، وكذلك كلمة (ظمآن) في الآية الثانية صيغة مبالغة على وزن فَعْلان .

أما كلمة (الرحمن) فقد وردت في القرآن الكريم كثيراً ، وفي مواطن مختلفة ، وهي تعني الكثير الرحمة ، فهي (مبالغة اسم الفاعل (راحم) وقد ذهب جمهور العلماء إلى ان (رحمن) هو اسم الله — تبارك وتعالى — وليست صفة . قال ابن سيدة (فالرحمن اسم الله

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

---

(١) سورة الأنعام . أية ٧١

(٢) سورة النور . أية ٣٩

خاصة ، لا يُقال لغير الله رَحمن ، ومعناه : المبالغ في الرحمة ... ، وفعلان من بناء المبالغة) (١) .

وكلمة (حيران) تعني الكثير الحيرة . ووجه مجيء المبالغة في هذه الآية أن الله تبارك وتعالى — أراد تصوير قبح من يرتد عن دينه . فبعد التوحيد ينغمس في متاهات الشرك واتباع الأهواء ، وبعد ان كان يعبد إلهاً واحداً لا شريك له أصبح فريسة لعقائد استهوتها آلهة وهمية متعددة .. فالشخص في هذا الموقف يتحسس العذاب النفسي الذي يرتسم في اعماقه حتى ليكاد يحس ويلمس من خلال التعبير ... هذا الإضطراب النفسي يبلغ أشده عندما يدعوه أصحابه إلى الهدى ... ففي هذه الحالة يكون بين قوتين قوة الهدى وقوة الضلال ، وما من ريب أن صيغة المبالغة وردت معبرة خير تعبير عن حالته النفسية .

ولفظة ظمآن هي على وزن (فَعلان) أيضاً للمبالغة . وتعني الشديد البطش . فالقرآن الكريم صور هذا المقام أروع تصوير وأبلغه . وهذا ماثل أمام أبصارنا من خلال دقة وروعة استعمال الكلمات في الآية الكريمة ، ومن خلال النسق التعبيري المترابط ... حتى كأننا بالكافر يقف يوم الحساب زاعماً أنه قد قدم اعمالاً صالحة في الحياة الدنيا ... ولكنه يفاجأ بالحقيقة وما أعماله إلا هباء منثور لأنه كفر بربه ولم يستقم في عقيدته . وهذه المفاجأة تتطلب لفظاً موحياً يعبر عن تلك الحالة التي تلازم الكافر ، وقد كانت صيغة (فَعلان) موفية للغرض فورد وصفه على (ظمآن(إمعاناً في إبراز المعنى وإظهاره .

أما الرحمن فقد أفردت لـ «الرحمن الرحيم» موضعاً في نهاية هذا البحث تحت عنوان (موازنة بين فعلان وفعيل) .

٩ — صيغة فُعَل

لقد وردت صيغة (فُعَل) للمبالغة في القرآن الكريم في موضعين ، وذلك في قوله تعالى (يقول أهلكت مالاً لُبَداً) (٢) وقوله تعالى (إنها لاحدى الكُبُر) (٣) . فكلمة (لُبَد) هي بناء للمبالغة ، وتعني المال الكثير . يقول ابن منظور : (ومال لُبَد : كثير لا يُخاف فناؤه

---

(١) المخصص لابن سيده ٥/١٥١

(٢) سورة البلد. آية ٦

(٣) سورة المدثر .آية ٣٤

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

كأنه التبد (١) بعضه على بعض و في التنزيل العزيز «يقول أهلكت مالاً لُبداً» (أي جمّاً)(٢). فكلمة (لُبَد) على وزن (فُعَل) وهي مبالغة اسم الفاعل : ألا ترى ان العرب تقول : حَطَم يَحطُم فهو حاطم ، فإذا أرادوا أن يبالغوا في وصف الشيء بكثرة التحطيم قالوا (حُطَم) وبهذا المعنى قال شاعرهم (٣) :

هذا أوان الشد فاشتدي زيَمْ قد لفّها الليل بسواق حُطَم

وكذلك (لُبَد) تقول : تلبّد الشّعْرُ فهو مُتَلبِّد : أي : غيرُ شَعْثٍ ولا منثور بل متجمع بعضه على بعض . وفي هذا المعنى قال زهير (٤)

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذّف له لُبَدٌ أظفارُه لم تَقلّم

ومن هنا أخذ هذا اللفظ للمال الوفير . ومن هنا نعلم مدى ما أدّته صيغة (فُعَل) في الآية الكريمة من معنى . لقد صوّرت تكبُّر هذا الشخص وافتخاره على الناس بأنه أهلك مالاً وفيراً ، غير أن كلمة (وفير) أو (كثير) لا تعطي لنا المدلول المعنوي لـ «لُبَد» فهذه تُشعرنا بأن الكفَرة متشدقون متكبرون حتى في ألفاظهم .

أما كلمة (الكُبَر) في قوله تعالى (إنها لاحدى الكُبَر) فخليق بنا أن نذكر شيئاً مما أدّته هذه اللفظة في سياق الآيات الواردة فيها . فلهذه الكلمة وقع مثير ينسجم كل الإنسجام مع ذكر القسم ، ولفظة الردع (كلا) وذكر المشاهد الكونية المثيرة . فالقسم ذاته ، ومحتوياته والمقسوم عليه بهذه الصورة كلها مطارق تطرق القلوب بعنف وشدة ، وتتسق مع النقر في الناقور . فهذه اللفظة التي نحن بصددها — أعني الكبر — جاءت جواباً للقسم ، وهي تُنبيء عن الأهوال التي سيراها الإنسان يوم القيامة .

١٠ — صيغة فُعلى

هذه الصيغة لم أجد من علماء النحو أو الصرف من ذكرها بأنها من صيغ المبالغة ، ولكنّ الذي ذكر بأنها من صيغ المبالغة هو : بدرالدين الزركشي في مؤلفه (البرهان) (٥) .

---

(١) التبد : يقال : التبد المال : مركوم بعضه فوق بعض
(٢) جما : كثيراً
(٣) انظر الكامل للمبرد ١/٣٨١
(٤) شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص٢٧٧
(٥) الزركشي . البرهان في علوم القرآن ٢/٥١٦

بيد أنني فحصت الأمثلة التي أوردها لم اجد ما يقوي حُجّته ؛ فقد أورد كلمات منها : الشورى ، الحسنى ، السوآي ، العليا ... وهذه الكلمات ليست للمبالغة في بنائها ، ولكنها تحوي معنى المبالغة . وهذا الذي اذكره ما أفهمه من خلال كلام المفسرين . ولنأخذ احدى هذه الكلمات ولتكن كلمة (الشورى) لتكون لنا مثالاً على صحة ما نقول ثم نقيس أخواتها .

لقد وردت كلمة الشورى في قوله تعالى (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) (١) .

ففي هذه الآية وردت كلمة الشورى مصدراً ، ونحن نعلم أن صيغ المبالغة هي من اسم الفاعل ، وهذا دليل على عدم كونها من أبنية المبالغة يقول الزمخشري (والشورى : مصدر كالفُتيا ، بمعنى التشاور) (٢) .

ويقول الآلوسي : (وامرهم شورى بينهم) أي : ذو شورى ، ومراجعة في الآراء بينهم ، بناء على ان الشورى مصدر كالبشرى ، فلا يصح الإخبار ؛ لأن الأمر متشاور فيه ، إلا إذا قصد المبالغة» (٣) .

وواضح من كلام الآلوسي : «إلا إذا قصد المبالغة» إن ذلك يكون بجعل كلمة (شورى) هي خبر (امرهم) ؛ فيكون الأمر هو المشاورة . وهذا الكلام مبالغة في المعنى وليس في البناء والصيغة ؛ وهو من باب تنزيل المصدر منزلة الصفة .

موازنة بين فعيل وفعلان

ان الوجه بين هذه الموازنة بين فعيل وفعلان هو أكثار العلماء من الكلام بصددهما فتارة يرجحون «فعلان» على «فعيل» في المعنى وشدة المبالغة وتارة أخرى يعكسون الترجيح وفضلا عن ذلك ذهب بعضهم الى جعل احدى الصيغتين عامة والأخرى خاصة .

---

(١) سورة الشورى . آية ٣٨

(٢) الزمخشري . الكشاف ٤/٢٢٨

(٣) الآلوسي . روح المعاني ٧/٢٢٨

ومحور الخلاف في هاتين الصيغتين ، هو الكلام على قوله تعالى (الرحمن الرحيم» (١) وأني لذاكر أهم الآراء التي وردت ثم أعقب عليها برأيي . ورد في كتاب :(تنوير المقباس، تفسير عبدالله بن عباس) بصدد تفسير قوله تعالى (الرحمن الرحيم): والرحمن: العاطف على البر والفاجر بالرزق لهم ، ودفع الآفات عنهم ،الرحيم :خاصة على المؤمنين بالمغفرة وأدخالهم الجنة...) (٢)

وأورد الطبري كلاماً مفصلا عن لفظتي (الرحمن الرحيم) نقتبس بعضاً منه :«الرحمن هو فعلان، من رحم، والرحيم ، فعيل منه ، والعرب كثيراً ما تبني الأسماء من فعل يفعل على «فعلان» كقولهم من غضب غضبان ، ومن عطش عطشان..) (٣)

ثم يقول :(فان قال قائل: فاذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة ، فما وجه تكرار ذلك وأحدهما مؤدٍ معنى الآخر ؟

قيل له :ليس الأمر في ذلك على ماظننت ؛ بل لكل كلمة منها معنى لاتؤدي الأخرى منها عنها ...فلا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب أن قول القائل (الرحمن) عن ابنية الأسماء من :فعل ويفعل أشدُّ عدولا من قوله الرحيم ...) »(٤) .

فالظاهرة من كلامه أنه من القائلين بزيادة (فعلان) على (فعيل) في معنى المبالغة.

ثم ينتهي الى رأيين نقلهما عن السلف : الأول يرويه بسنده عن العزري قوله: « الرحمن الرحيم» قال :الرحمن بجميع الخلق، الرحيم : قال بالمؤمنين (٥).

والثاني : يرويه بسنده عن أبي سعيد الخدري . قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — ان عيسى بن مريم قال : الرحمن : رحمن الاخرة والدنيا والرحيم :رحيم الاخرة .

ثم نراه يجمع بين الرأيين برأي واحد وهو قوله «أنه بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه، وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه» (٦)

---

(١) سورة الفاتحة .أية ٢

(٢) تنوير المقباس — لا بن عباس — مطبوع بهامش كتاب :الدر المنثور للسيوطي ٣/١

(٣) تفسير الطبري ٥٥/١

(٤) المصدر نفسه ٥٥/١

(٥) تفسير الطبري ٥٥/١

(٦) المصدر نفسه ٥٥/١

أما الزمخشري : فقد ذهب الى أنه «في الرحمن من المبالغة ماليس في الرحيم ، ولذلك قالوا : رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا ، ويقولون : أن الزيادة في البناء لزيادة المعنى..)(١)

أما ابن قيم الجوزية . فقد قال : «فالرحمن : الذي الرحمة وصفه والرحيم : الراحم لعباده . ولهذا يقول تبارك وتعالى (وكان بالمؤمنين رحيماً) (٢) . ولم يرد رحمن بعبادة ولارحمن بالمؤمنين ، مع ما في اسم «الرحمن» الذي هو على وزن «فعلان» من سعة هذا الوصف ، وثبوت جمع معناه الموصوف به ...» (٣).

ومن العلماء المحدثين الذين تناولوا هاتين الصيغتين الامام محمد عبده يقول : « والذي أقوله أنه صيغة (فعلان) تدل على وصف فعلي فيه معنى المبالغة كفعّال ، وهو في أستعمال اللغة للصفات العارضة ، كعطشان وغضبان ... وأما صيغة «فعيل» فإنها تدل في الاستعمال على المعاني الثابتة كالأخلاق والسجايا في الناس ، كعليم وحكيم وحليم... فلفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه أثار الرحمة بالفعل ، وهي أضافة النعم والإحسان ، ولفظ الرحيم يدل على منشيء هذه الرحمة والاحسان ، وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة ، وبهذا المعنى لايستغنى بأحد الوصفين عن الاخر ، ولايكون الثاني مؤكداً للأول» (٤) بعد أن بسطنا آراء بعض المفسرين وائمة اللغة في معنى «فعلان» وفعيل» حقيق بنا أن نزجي اليهم الشكر على جهودهم المخلصة الغيورة على كتاب الله تبارك وتعالى — وما من ريب في أنهم افنوا حياتهم في خدمته نود ان ندلو بدلونا بين الدلاء في معنى هاتين الصيغتين . ورأينا يتلخص فيما يأتي :

١ — أن صيغة «فعلان» بصورة عامة تدل على الامتلاء الشديد أو الخلو الشديد . فكلمة (شبعان) تدل على الشبع الشديد . «وجوعان »تدل على الجوع الشديد . وفعلان صفة عارضة على الأغلب.

أما الرحيم فهي اكثر ماتدل على الصفات الثابتة ، والتي تكون ميزة من مميزات الموصوف بها وكلا الصيغتين تدلان على الكثرة والمبالغة .

---

(١) الكشاف للزمخشري ١/٦

(٢) سورة الاحزاب . أية ٤٣

(٣) الجوزية . أبن قيم . مدارج السالكين ١/٣٣

(٤) عبده . الامام محمد دروس من القرآن الكريم ص٤٨

٢ — أما بالنسبة للرحمن الرحيم فأقول : أن «الرحمن» وردت هنا اسماً وهذا الاسم قد حمل معنى الوصف ؛ وهو شدة وكثرة الرحمة منه . أما الرحيم فهي الصفة الثابتة التي وصفت لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى «بسم الله الرحمن الرحيم» (١) فالرحيم صفة (الله) وليس للرحمن ، لأن لفظ الجلالة «الله» هو غير مشتق من جذر معلوم (٢) — على الأغلب فوصف — سبحانه — نفسه بأنه الإله الرحمن الرحيم . ولعل اظهر مايظهر من أدلة تدعم ماذهبنا أليه :

١ — أننا لانجد أبداً في القرآن الكريم وصف لفظ الجلالة (الله) بـ(الرحمن) وأنما يوصف بأنه (رحيم) ويسمى بأنه (رحمن) هذا في غير البسملة ومما ورد في ذلك قوله تعالى (أن الله بالناس لرؤوف رحيم((٣)

وقوله تعالى (وهو الرحيم الغفور) (٤) ،وقوله تعالى (أن الله غفور رحيم) (٥)... والخ من الايات التي تورد صفة (الرحيم) مع غيرها — لله تبارك وتعالى . ولانجد من بين هذه الشواهد ولاغيرها مثلا «الله رحمن بعباده» وأنما أكثر ماورد لفظ (الرحمن) اسم من اسماء الله تبارك وتعالى وليس صفة ،الا أن من خصوصية هذا الاسم أنه مشتق من صفة من الصفات العلية وهي الرحمة.

ومما ورد من الايات الدالة على أن لفظ «رحمن» اسم : قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) (٦) وقوله تعالى (قل أدعو الله أو أدعو الرحمن أياً ماتدعو فله الأسماء الحسنى) وهذه (٧) الاية صريحة غاية الصراحة في أن (رحمن والله) هما اسمان للخالق تبارك وتعالى ثم أنه فيها ناحية اخرى وهي : انها قرنت الاسمين معاً ، وهذا ينهض دليلا على ماقررناه

---

(١) سورة الفاتحة

(٢) القرطبي ١/١٠٢ ، ١٠٣

(٣) سورة البقرة . أية ١٤٣

(٤) سورة سبأ . أية ١٤٣

(٥) سورة المائدة . أية ٣٩

(٦) سورة طه . أية ٥

(٧) سورة الاسراء . أية ١١٠

أولا ، وأي دليل أوضح وأظهر من هذا ؟ويقوي رأينا قوله تعالى — على لسان ابراهيم — صلى الله عليه وسلم (ياأبتِ أني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطّان ولياً) (١) .وقوله تعالى (وأذا قيل لهم أسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن؟أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً) (٢).

٢ — أن القرآن الكريم استعمل كل اسم من اسمي الجلالة (الله)(والرحمن) بصورة منفردة ، ثم أجرى لهما أوصافاً وأفعالا . فشواهد لفظ الجلالة (الله) كثيرة منها قوله تعالى (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز) (٣)

واما اسم (الرحمن) فوصفه بقوله تعالى (وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون (٤) وقد يعترض معترض فيقول :أن كان ذلك كما زعمت، فلماذا جعل القرآن الكريم لفظ (الرحمن بين لفظ الجلالة (الله) وصفته (الرحيم) ؟والجواب عن ذلك انه — تبارك وتعالى — أراد أن يجمع بين الاسمين الكريمين في بداية الذكر الحكيم تأكيداً لمصدر القرآن الربّاني . ثم أن ذكر الرحيم بعد (الرحمن) لايلبس المسألة ؛ لأن (الرحمن) حاوٍ معنى الرحمة في ذاته فهو مشتق منها، فلابد أن تتجه صفة الرحيم الى لفظ الجلالة (الله) المذكور قبل الرحمن والذي لاريب فيه أن كلمة (الله) اشهر في تسمية الخالق تبارك وتعالى من كلمة (الرحمن) لكن لكلمة الرحمن .مدلولاتها في مواطنها ، مايؤدي معنى جليلا يقصده السياق القرآني وهذا معلوم في مواطنه في القرآن الكريم ويؤيد هذا الرأي — أي كون «الرحمن» اسماً — ويدعمه ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «قال الله عزوجل : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » (٥)

وبعد .

---

(١) سورة مريم .آية ٤٥

(٢) سورة الفرقان . أية ٦٠

(٣) سورة الشورى . أية ١٩

(٤) سورة الأنبياء . أية ١١٢

(٥) هذا النص أورده القرطبي في تفسيره ١٠٤/١

فها نحن اولاء قد بسطنا فيما قدمناه «صيغ المبالغة الواردة في القرآن الكريم » فالقرآن الكريم وهو كتاب العربية الأكبر قد اكتنفه علماء اللغة من كل جهة ، وتعاودوه من كل ناحية وحسبنا أن نقول أدلينا بدلونا بين الدلاء فكان خلاصة ماهُدي أليه الاستقراء القرآني .

ووفاءً بحق البحث وتوفية بالفائدة مانحن بصدده لأبد لي أن أشير الى أن علماء النحو – بصريين وكوفيين – قد اجمعوا على ورود منصوبات بعد صيغ المبالغة. بيد أنهم يختلفون في المناصب (١) لها . أما صيغ المبالغة في القرآن الكريم فلم اجد صيغة واحده أتت عاملةً ، وإنما وردت جميعها في القرآن الكريم صفات لزيادة الحدث الوصفي ، وتعرب حسب موقعها من الجمل.

والله أسأل ان ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه ، وهو حسبي ونعم الوكيل.

---

(١) انظر في بحثنا هذا ص٤

المصادر والمراجع

١ — البحر المحيط :لأبي حيان الأندلسي . مطبعة دار السعادة بمصر

٢ — البرهان في علوم القرآن للزركشي . دار أحياء الكتب العربية بمصر . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

٣ — التفسير الكبير للرازي . المطبعة البهية المصرية بميدان الأزهر — مصر

٤ — تفسير المنار لمحمد رشيد رضا .دار المنار بمصر

٥ — الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . ط٣. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م القاهرة

٦ — حاشية الصبان على شرح الأشموني على الفية ابن مالك . دار أحياء الكتب العربية علي البابي الحلبي . القاهرة

٧ — دراسات في اللغة العربية لمحمد الخضر حسين جمع وتحقيق علي الرضا التونسي ط١ ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥ م

٨ — الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي . وبهامشه تنوير المقباس لعبدالله بن عباس .

٩ — دروس من القرآن الكريم . للامام الشيخ محمد عبده . تقديم طاهر الطناحي طبع بمطابع دار الهلال

١٠ — شرح الأشموني على الفية ابن مالك . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة البابي الحلبي بمصر ط٢

١١ — شرح ابن عقيل على الفيه ابن مالك . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر .

١٢ — شرح التصريح على التوضيح للأزهري. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

١٣ — شرح المفصل لابن يعيش .طبع أدارة المطبعة المنيرية

١٤ — الكتاب لسيبويه . تحقيق عبد السلام هارون . دار العلم ١٣٨٥هـ — ١٩٦٦ م

١٥ — مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

١٦ — المقتضب لأبي العباس المبرد . تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة . دار نهضة مصر

١٧ — النحو الوافي لعباس حسن ط٣ دار المعارف بمصر ١٩٦٢م

١٨ — همع الهوامع للسيوطي . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت .